مقاومة أحمد باي
في الشرق الجزائري
ظروفها ومراحلها وشائجها

عمار بن محمد بوزير

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقاومة احمد باي في الشرق الجزائري

ظروفها ومراحلها ونتائجها

إعداد

عمـــار بن محمد بوزيـــر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة:

تاريخ الجزائر حافل بالأحداث التي تستدعي منا الوقوف عندها، لأخذ العبر، واستخلاص الفوائد.

وقد كان للفترة الممتدة من(1830م)إلى غاية(1962م)، كبير القدر ، وعظيم الاهتمام، كيف لا وهي الفترة الأشد على الأمة الجزائرية، فهي الفترة التي جابهت فيها هذه الأمة الجاهدة أعتى استعمار أوربي على الإطلاق.

لقد كان للحملة الفرنسية الإستعمارية على الجزائر، كبير الأثر على مسيرة التاريخ الجزائري، فقد ارتبط -منذ تلك السنة السوداء التي جلل فيها ظلام الاستعمار الفرنسي على سائر الجزائر- تاريخ كل الجزائر، بأسماء شخصيات وأماكن، طبعت في الذاكرة الجزائرية، معاني الجهاد والمقاومة، والنضال والوفاء.

كما لم يكن يعتقد الشعب الجزائري أن فرنسا تسطيع إحتلال أرض، فكذلك لم تتصور أبدا القوات الفرنسية الغازية أن هذا الشعب المناضل سيقبل بغزوها، ويستسلم من الوهلة الأولى، لذلك فقد تعالت أصوات اليسار الفرنسي، تحذر من خطأ المغامرة الجزائرية، ومنذرة بالكارثة التي ستحل بالجيش الفرنسي.

وهذا ما كان بالضبط، فمن أول وهلة وطئت فيه أقدام الجند الفرنسيين وحوافر خيلهم أرض الجزائر، حتى بدأت طلقات النار وقنابل المدافع، تجيبهم من كل ناحية وصوب.

ولما اعتقد قادة الجيش الفرنسي أنهم أتموا احتلالهم وأخضعوا الأمة الجزائرية لسلطانهم وهابهم البعيد قبل القريب، هبت جموع الجزائريين في مقاومات شعبية ومنظمة كبيرة.

كان نصيب الشرق الجزائري منها، مقاومة قادها أحد أبرع رجالات السياسة والعسكرية الجزائريين، إنه: الباي أحمد بن محمد الشريف القلي.

كان لمقاومته معالم ميزتها دون غيرها من المقاومات، برزت بفعاليتها وطول زمنها وغيرها من الميزات التي استدعت البحث والتنقيب عن تفاصيلها وحيثياتها، من أجل استخلاص العبر والفوائد.

وقد تزامنت مقاومته مع مقاومة رجل آخر لا يقل أهمية تاريخية عنه إنه الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، بل ربما حضي الأمير عبد القادر ومقاومته باهتمام يزيد بأشواطا وعن الرعاية التي لقيتها مقاومة أحمد باي، وقد اختلفت أنظار المتتبعين لهذا الموضوع، بحسب دراسة أيٍّ من المقاومتين.

هذا ما جعلني أتشوق لدراسة هذه المقاومة ومعرفة تفاصيلها، ماهي الظروف التي اكتنفت مقاومة أحمد باي؟ ما هي المراحل التي مرت بها مقاومته؟ وكيف انتهت؟ وماذا أسفرت عنه من نتائج؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد املت علي طبيعة البحث انتهاج المنهج التاريخي الوصفي، والغاية من ذلك تتبع تفاصيل مقاومة أحمد باي والوقوف عند دقائق تطوراتها، من أجل تكوين تصور تام عنها وعن مجرياتها، إلا ما كان من استخلاص بعض الفوائد ، والتعقيب على بعض الحوادث إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك، فإنني اعتمدت في ذلك على المنهج التحليلي.

وقد توصلت على إثر ذلك إلى بعض النتائج أبرزها:

- أن مقاومة أحمد باي من أكبر المقاومات التي اندلعت إبان الاحتلال الفرنسي.
- قد أظهر الشعب الجزائري أنه لم ولن يركن لمستعمر مهما كانت ظروفه.
- أن الصراعات الداخلية هي دوما تكون من أكبر العوامل التي تكسر نضال أمة تريد التحرر من ربقة الإستعمار.

وغيرها من النتائج التي يمكن استخلاصها في النهاية.

وكتب: عمار بن محمد بوزير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*تعريف المقاومة

الفرع الأول تعريف المقاومة لغة

المقاومة: أصلها من مادة(ق و م) والمصدر قاوم ويدخل في معانيه القوامة ولذلك سمي الجماعة من الرجال قوم قال الله تعالى: "لا يسخر قوم من قوم"، وقام يقوم قوما وقومة وقياما، بالكسر وقامة: انتصب،وقاومته قواما-بالكسر-: قمت معه، ومنه المقاومة وفي المصارعة ويقال: تقاوموا في الحرب: قام بعضهم لبعض"[1]"

والمتأمل للمعاني المندرجة تحت مصدر قاوم وتفريعاته، علم أنها تشترك جميعا في معاني القيام بالشيء، والقيام عليه، والانتصاب فيه، والجلد والندية والمدافعة والمواجهة.

وقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة:" قاوم يقاوم، مقاومة وقواما، فهو مقاوِم، والمفعول مقاوم قاوم العدو: واجهه، وضادَّ قاوم الإغراء،الظلم البرد، ميوله، الحاكم المستبد، الطغيان، العدوان، الهجوم، الضربةَ، قاوم الرجال الحريق، يقاوم بشراسة، قاومت الرياح سير السفينة: منعتها السير أو التقدم،قاوم الجسم المرض: قام برد فعل ليزيل تأثير المرض أو يخفف من ضرره""[2]".

الفرع الثاني: تعريف المقاومة اصطلاحا:

المقاومة بالاصطلاح الشائع قد تأخذ بشيء يسير من هذه المعاني أو تتضمنها، إلا أن مفهومها مرتبط بالمدافعة وردّ الأذى، والدفع أصل يدل على تنحية الشيء، أي إزالته لما فيه من السوء والأذى، ودَفَع الشيء: نحَّاه وأزاله بقوة.

و...: "قاومه في المصارعة وغيرها: قام له". وهذا أقرب شيء يدل على الربط بين الأصل اللغوي والمعنى الشائع، فالقيام استعداد للمقاومة والمدافعة وأخذ بأسبابها، والانتصاب ثبات في وجه المعتدي وصد العدوان.

والمعنى الآخر" :المقاومة: مفاعلة"، تدل على وجود أكثر من طرف، وفيها معنى المغالبة "غالب مغالبة وغلابًا:حاول كل واحد منهما أن يغلب الآخر."

ويمكننا القول إذن بأن المقاومة قيامٌ وانتصاب لدفع العدوان، وإقامة العدل والاعتدال، ومنع الجور والاعتساف.

1- محمد بن محمد أبو الفيض مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (307/33)و محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العربن دار صادر ، بيروت، الطبعة الثالثة (1414 هـ) (497/12).

2- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى،(1429 هـ - 2008 م) (1875/3) وانظر: محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي أبو عبد الله جمال الدين الجياني، إكمال الأعلام بتثليث الكلام، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى(1404هـ 1984م) (537/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعيدًا عن المعنى اللغويِّ واشتقاقاته واستعمالاته ومرادفاته، فإن المقاومة معنى معروف، ودلالته قديمة في الحياة الإنسانية، والمقاومة الشريفة هي التي تدافع عن الحق في وجه الباطل، وتنافح عن العدل في سطوة الظلم، وتناصر الضعيف المهضوم، وتصاول القوي الغشوم. هذه المقاومة ذات معانٍ عظيمة، ودلالات سامية، ولها بالنفس والروح تعلُّق، ولها في الفكر والعقل تألُّق، فهي مشاعر نفسية ورؤية فكرية قبل أن تكون حركة عملية أو أسبابًا مادية. "[3]

3- علي عمر بادحدح، المقاومة فطرة بشرية وضرورة واقعية، موقع قصة الاسلام(www.islamstory.com).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

** التعريف بأحمد باي قسنطينة

الفرع الأول: معنى رتبة الباي والبايليك

تتعلق كثير من النتائج التي نتوصل إليها في هذا البحث خصوصا، وبالمقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي عموما، بفهم بعض المصطلحات التي كانت متداولة في تلك الفترة، خاصة تلك التي لها علاقة بالسياسة والإدارة.

وقد تعددت الرتب الإدارية للحكام العثمانيين في الجزائر، بحسب المراحل التاريخية التي تطورت فيها الإدارة العثمانية، وما يهمنا هنا هو لفظتين: الباي والبايليك أو البايلك .

يعتبر منصب الباي من آخر المناصب الإدارية التي سادت في الفترة الأخيرة من حكم العثمانيين بالجزائر.

ومنصب الباي يخص صاحب السلطة على إقليم من أحد أربعة أقاليم قسمت الجزائر وسميت بايليك، يتبع كل باي سلطة الداي الحاكم العام لإيالة الجزائر، التابعة رأسا لسلطة الخلافة العثمانية بالآستنة"[4]".

ويعتبر الباي بمثابة الوالي الذي ينوب عن الداي في تسيير شؤون البايليك أي الولاية، وله الحرية المطلقة في هذا التسيير، حيث لا يوجد أي تدخل من الداي في صلاحيات الباي، خاصة فيما يخص التعيينات والإقالات.
يساعد الباي في إدارة البايلك هيئة إدارة، مكونة من عدة موظفين نقتصر على ذكر أهمهم، والتي كان لأصحابها دور بارز في المقاومة، أو حتى الفتن التي وقعت لأحمد باي:

الخليفة: وهو الذي يتولى الإدارة بعد الباي مباشرة، ويكون تحت تصرفه القادة الميدانيين والعسكريين، ويعمل على جمع الضرائب، وإخضاع أهالي البايلك للباي، وينوب عنه في تقديم الدنوش للداي مرتين في العام.

وكان يحظى بقيمة عالية تشبه تلك الممنوحة للباي، فقد كانت تصحبه كتيبة تشبه تلك التي كانت تصحب الباي في خرجاته لأنحاء البايلك او إلى الجزائر"[5]".

قايد الدار:وهو الذي يدير شؤون مدينة قسنطينة عند غياب الباي عنها، لذلك فوظيفته كانت جد مهمه،كما كانت الشرطة تحت تصرفه، وهو الذي يبت في الخلافات، ويدير أراضي العزل المحيطة

4- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، منشورات anep الجزائر،(2006) (ص100).
5- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي(1514م-1830م)،دار هومة، الطبعة الثالثة(2011) (ص294).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بقسنطينة، ويكون تحت إمرته: قايد قصبة وهو المكلف بإدارة الشركة المكونة من ستة مجموعات، وأيضا: قايد خيل وهو الذي يسير الدوريات بالليل"[6]".

الآغا:وهو منصب هام في ادارة البايلك، وهو المتصرف باسم الباي في عدة دوائر، والتي تتكون بدورها من عدة قبائل، وقد كان آغا بايلك الشرق يتصرف في: قبائل وادي بوصلاح، السراية الزناتية، اولاد عبيد، المخزن البلدي: وهو المتكون من الفرسان القاطنين في قسنطينة، ويخضع لسلطة الآغا أيضا باش شاوش وهو بدوره يخضع له: ثلاثون شاوشا"[7]".

وبايلك الشرق يعتبر من أكبر البايلكات في الجزائر من حيث المساحة، فهو يمتد من تبسة شرقا إلى حدود دار السلطان (مدينة الجزائر)، ومن السواحل في الشمال إلى الصحراء جنوبا، وعاصمته قسنطينة،وضم البايلك الشرقي مدنا كبيرة جدا منها قسنطينة عنابة بجاية بسكرة وغيرها"[8]".

والبايلك بهذا الاتساع حوى تضاريس متنوعة، ومهمة جعلته يكتسب أهمية جيوسياسية كبيرة"[9]"

وفي سنة(1574م)تم تعيين رمضان تشولاق كأول باي على قسنطينة من طرف البايلرباي محمد بن صالح رايس"[10]"،واستمر البايلك يتداول عليه البايات، إلى غاية (1837م) تاريخ سقوط قسنطينة في يد الإستعمار الفرنسي.

الفرع الثاني: نبذة عن أحمد باي

يعتبر الحاج أحمد باي قسنطينة الأخير، من ألمع وجوه المقاومة في الجزائر، ومن أكبر قاداتها الذين دوخوا فرنسا، والذين يجب أن نفتخر بهم"[11]".

وقد حاول كثير من مؤرخي فرنسا الإستعمارية تشويه صورة هذا القائد الفذ"[12]"، بإلصاق كثير من الفضائع، حتى حاولوا جهدهم نفي جزائرية الرجل والتي لا يمكن لأي منصف أن ينكرها، كيف تنكر

6- صالح عباد المرجع نفسه (ص295).
7-صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د ط)،(2007)، (ص26-27).
8-أنظر الملحق رقم (4).
9-أنظر لتفصيل تضاريس البايلك وحدوده: بوضرساية بوعزة ،الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830-1848 ، دار الحكمة الجزائر،،(د ط)،(2010) ، (ص21-26).
10-محمد الصالح ابن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، دار البصائر حسين داي الجزائر،،(د ط)،(2009) (ص30).
11-محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي،(د ط)، (ط س) (ص5).
12- بوضرساية بوعزة مرجع السابق (ص64-65) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وطنيته وجزائريته، وهو جزائري ولد بها من أب ولد بها، ومن أم تنتمي لعائلة بن قانة من أكبر العوائل العربية العريقة بالجزائر"[13]".

لذلك فمن الواجب علينا التعريف بهذا الرجل، وإن كان المقام لا يسمح بالتوسع في ذلك، فإني سأكتفي بترجمة أحمد باي ترجمة مختصرة، تعرف بشخصية هذا القائد المقاوم فهو:

أحمد بن محمد الشريف بن أحمد القلي، ولد بقسنطينة سنة (1786م) "[14]" وقيل سنة (1784م) "[15]"، وعائلته عائلة مرموقة، لها باع في الخدمة الإدارية، فجده أحمد القلي هو أحد بايات قسنطينة، تولى منصبه سنة(1756م) "[16]"، وأبوه كان خليفة على عهد حسين بن حسن باشا بوحنك (1792م).

ولكنه تربى يتيما، بعد أن قتل أبوه خنقا، على عادة بايات ودايات الجزائر، في الانتقام من طاقم الحكم الذي يغير حاكمه، أو يقتل، وقل منهم من ينجو من هذا المصير، فتربى أحمد باي يتيما في حجر أمه، التي لم تجد بدا من السفر به، او قل الهرب به إلى عائلتها عائلة بن قانة"[17]"، في الصحراء حتى تستطيع تربية ابنها تربية سليمة.

وفي الزيبان نشأ مترجمنا فحفظ القرآن على عادة صبيان المسلمين، وتعلم مبادئ العربية وعلوم الشريعة، ولما ناهز الشبيبة واقتحم حمامها، وبلغ من عمره اثنا عشر عاما، حج البيت الحرام ومنه عاد عن طريق مصر، أين تلقى معارف أخرى وعلوما"[18]".

ثم التحق بإيالة الجزائر، أين أخذ يتدرج في المناصب، مظهرا كفاءة سياسية وعسكرية عاليتين.

وقد علم أحمد باي أن العلاقة مع عرب البايلك الشرقي مهمة، خاصة لمن يريد التدرج في المناصب، فأقام علاقات مصاهرة ببعض القبائل المتنفذة، فتزوج من عائلة بن قانة، والمقراني، وكذلك زواغة وأولاد عاشور من فرجيوة"[19]"، وبعدها أخذ يحظى بثقة الحكام، حتى عين قائدا للعواسي"[20]" على

13- محمد العربي الزبيري مرجع السابق(ص5).

14- محمد العربي الزبيري المرجع السابق (ص6)وقد ذكر الدكتور بوضرساية كل الأقوال التي قيلت في تاريخ مولده أنظرها: بوضرساية بوعزة المرجع السابق (ص58-56).

15- أوجين فايست، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792م-1873م)،دار قرطبة، المحمدية الجزائر، الطبعة الاولى، (1432هـ- 2010م)،(ص315).

16- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق(ص61) وعبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة الجزائر،(د ط)،(2014)،(201/4)،وذكر الدكتور بوضرساية بوعزة تبعا لروسو(M.rousseau) أنه حكم عام (1794م)وذكر أن قيون(Guyon)يرى أنه حكم عام (1758م)أنظر: بوضرساية بوعزة مرجع السابق (ص57) .

17- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص6).

18-وهناك رواية أخرى مفادها أن حج أحمد باي كان بسبب اغراقه في المجون فأرادت عائلته أن يتوب إلى الله، وهذا ما زعمه أحمد بوضربة، أنظر لذلك مذكرات احمد باي وحمدان وبوضربة نقلا عن: بشير بلاح تاريخ الجزائر المعاصر دار المعرفة باب الوادي الجزائر (ص113).

19-أبو القاسم سعد الله،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة دار الرائد الجزائر،(د ط)،(2009م) (253/1) وبسام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، (1416هـ-1986م)، (115/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عهد البايات: علي بورصالي (1808م) وأحمد نعمان (1811م) وابن شاكر أو محمد تشاقر(1814م) "[21].

ومن ثم عين على عهد الباي أحمد المملوك (1818م)خليفة له،وفي نفس السنة خليفة لمحمد الميلي، ثم خليفة لإبراهيم باي الغربي سنة(1819م) "[22]" وسرعان ما تغير حاله، حينما تولى منصب الباي إبراهيم القريتلي (1822م)، الذي دبر له مكيدة، واتهمه بالتعاون مع داي تونس، فعزل الحاج أحمد عن منصبه كخليفة، واستطاع بمساعدة أهالي قسنطينة الالتحاق بالبليدة، تحت إمرة يحيى آغا(1825م)، هذا الأخير الذي توسط له عند الداي حسين فعفا عنه، وبعدها عينه بايا على قسنطينة سنة (1826م) "[23]".

ورجع أحمد باي إلى قسنطينة، وأخذ يسير سيرته الحازمة في السياسة"[24]"، ما ورث له عداوات مع بعض المتنفذين، وهو المدخل الذي جعل كثيرا من المؤرخين الفرنسيين يستطيعون الطعن عليه، بل والطعن في كل الفترة العثمانية في الجزائر، واستمر على حاله حتى عام(1830م)، وشارك في الدفاع عن الجزائر، وبعدها عن قسنطينة، ودوخ الاستعمار حتى عام (1848م)، أين أزف زمن الاستسلام، ونقل بعدها إلى الجزائر العاصمة، وفيها توفي سنة (1850م)، ودفن بضريح عبد الرحمن الثعالبي، فرحمه الله رحمة واسعة"[25]".

20-العواسي كلمة تطلق على القبائل التي كانت تقطن منطقة عين البيضاء أنظر: محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص19) أوجين فايست مرجع سابق(ص315) بوضرساية بوعزة مرجع السابق (ص57).

21-وقيل في عهد الباي عبد الله قريبه أنظر: أوجين فايست مرجع سابق (ص315).

22- المرجع السابق نفس الصفحة.

23- حمدان بن عثمان خوجة مرجع سابق (ص135).

24- أوجين فايست مرجع سابق (ص246-247).

25- أنظر الملحق رقم (1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

***** الظروف المحيطة بمقاومة أحمد باي**

الفرع الأول: الظروف السياسية والعسكرية

-الظروف السياسية

إن الحديث عن مقاومة أحمد باي، يحتم علينا النظر في الظروف السياسية المحيطة بها، لأن كل مقاومة مهما كان موقعها أو زمانها، لابد وأن تتأثر بالظروف المحيطة بها سلبا أو إيجابا، من حيث الإستمرارية أو الإنقطاع، وتعمل كذلك على إنجاحها أو إفشالها.

وبالرجوع إلى الحالة السياسية التي كانت سائدة في بايلك الشرق، بزعامة أحمد باي غداة الحملة الفرنسية على الجزائر، نجد أنفسنا أمام ما يلي:

- **الاستقرار السياسي النسبي في البايلك**: تكاد انطباعات مؤرخي مسيرة أحمد باي وسيرته تكون متطابقة، حينما تصف الوضع في البايلك في آخر أيامه تحت راية العثمانيين، أنه كان مستقرا لحد ما، والسبب في ذلك هو السياسة الحكيمة التي انتهجها أحمد باي طيلة مسيرته الإدارة، من زمن تقلده منصب قائد العواسي، إلى غاية الحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة، ذلك أن حالة البايلك شهدت اضطرابا محسوسا قبل مجيئه، والدليل على ذلك هو تعاقب عدة بايات على البايلك"[26]"، بل وشهد البايلك كثيرا من الثورات، كثورة ابن الأحرش التي خلفت مقتل الباي عثمان سنة (1804م)، وثورة النمامشة والحراكتة والحنانشة"[27]".

- **تكوين مجلس الشورى**: لقد علم أحمد باي بتجربته الكبيرة الواسعة في الإدارة العثمانية بالجزائر، وكذلك مما اكتسبه من زياراته لباقي أرجاء الإمبراطورية العثمانية، خاصة نزوله في ضيافة محمد علي باشا الكبير بمصر "[28]"،أن الإدارة الجماعية للبايلك، هي الحل لبسط السيطرة وتعميم الحكم الراشد، على ربوع البايلك، فما كان منه إلا أن اختار مجلسا لتسيير البايلك، يجمع وجوه الرجال وقادتهم ممن عرفوا بالسداد في الرأي، والقوة والحزم والتجربة الكافية في مجال تخصصه، وهم كالتالي:

"مصطفى بن عبد الرحمن القاضي الحنفي، وأحمد العباسي القاضي المالكي، ومصطفى ابن العربي ناظر الوقف، وبن عيسى الباش حامبا، والخليفة سي مصطفى، إلى جانب الحاج أحمد بن حميد آغا

26- أنظر الملحق رقم (2).

27- أوجين فايست مرجع سابق (ص244) وصالح فركوس مرجع سابق (ص32و45) والغالي غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م،،(د ط)، (ط س) (ص151) وبشير كاشة الفرحي، مختصر وقائع وأحداث ليل الإحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962) ،وزارة المجاهدين،،(د ط)، (ط س) (ص20).

28- بوضرساية بوعزة مرجع السابق (ص84).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجيش، ومصطفى بن محمد آغا العسكر، وسي محمد بن جلول الباش كاتب، ومحمد بلجاوي الكاتب الثاني""[29]"

- **توطيد العلاقة مع الباب العالي**: لم يتوانى الحاج أحمد باي ولو للحظة واحدة، ولم يتررد أبدا في ربط الصلة بالباب العالي مقر الخلافة العثمانية، وتقديم فروض الولاء والطاعة لها، باعتبارها حامية المسلمين، ومن لها الحق في الطاعة، بعد زوال حكم الداي، وأحقية الخلافة العثمانية في إدارة ما تبقى من إيالة الجزائر"[30]"، وذكر أن أعيان قسنطينة، وأعضاء المجلس الشوري، قد كتبوا للخليفة العثماني بأن ينعم على أحمد باي بلقب الباشا، بمعنى أنه هو الداي الجديد"[31]"، وكذلك أرسل وفودا عدة، لطلب تدخل الدولة العثمانية في الجزائر"[32]"، وبالفعل ففي 7 أفريل سنة (1836م)، جاء عقيد بالجيش التركي في مهمة إلى قسنطينة، ليطمئن الباي أحمد، على أن السلطة العثمانية معه"[33]".

-**اعتماد سياسة حكيمة مع القبائل**: لما كان المجتمع حينها قبليا لأقصى الحدود، فاعتماد الباي عليها وعلى قدراتها العسكرية والإقتصادية، من أولويات الباي لتوطيد الحكم وتأمين الحدود، ولكن القبيلة عموما يصعب السيطرة عليها، إذا لم تنتظم في نظام الدولة، لذلك فقد انتهج أحمد باي سياسة حكيمةتجاه القبائل قصد السيطرة عليها، فربط علاقات قوية معهم تصل إلى حد الأخوة، والمحبة والولاء، متبعا سياسة اللين والإكرام في موضع، والشدة في موضع آخر.

فقد عمد إلى أغلب القبائل، واستدعى شيوخها وقوادها، وأجرى تغييرات على بعضها، وجمعهم في الجامع الكبير بقسنطينة، بحضور شيخ الإسلام الفكون، وأكرمهم وعين من يرضونهم شيوخا وقوادا، فلما رجعوا استحسنوا ما قام به الباي"[34]".

وظهرت في عهده بعض القبائل، وبرزت على الساحة، لما لاقته من كرامة وإعزاز في زمانه، كقبائل المخزن من مثل: التلاغمة وأولاد عبد النور، وتمتعت قبيلة أولاد سيدي عبيد المرابطية بحرية كبيرة وإعفاءات من الضرائب، باعتبارها قبيلة صوفية"[35]"

أما تلك القبائل التي انتهجت سايسة شق عصى الطاعة والتمرد، فقد قابلها أحمد باي بكل حزم، كبيقلة بني عمار بضواحي القالة، أو قبيلة زواغة والموماية وأولاد خطاب وبني مروان.

29- بوضرساية بوعزة مرجع السابق (ص89).
30- بوضرساية بوعزة مرجع سابق (ص93) وصالح فركوس مرجع سابق (ص32و95).
31-عبد العزيز فيلالي،جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة ، دار الهدى، عين مليلة الجزائر،(د ط)، (2012م) (ص70)وآرجمنت كوران السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر،منشورات الجامعة التونسية،(د ط)،(1970م)، (ص89-90) .
32- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، عالم المعرفة، دار الرائد، الجزائر ،(د ط)، (2009م) (ص137-139).
33- صالح فركوس مرجع سابق (ص65) وآرجمنت كوران مرجع سابق (ص90-91).
34- صالح فركوس مرجع سابق (ص29).
35- المرجع السابق (ص46).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-**علاقته بالأسر الكبيرة في قسنطينة**: لعلم أحمد باي بالأثر الكبير الذي تحدثه الأسر الكبيرة والعريقة في قسنطينة، وبالدور الهام الذي تلعبه على الساحة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد كان حريصا على ربط علاقات جيدة معها،متبعا أسلوب المصاهرات، وهو الأسلوب القديم جدا، الذي انتهجه كل الزعماء، لضبط الأقطار، خاصة في المجتمع القبلي،ومن تلك العائلات نجد عائلة ابن شنوف، وأولاد مقران"[36]"، وعائلة ابن قانة أخواله"[37]"، وأولاد بوعكاز "[38]" .

-**ربط العلاقة مع بريطانيا**: لما كانت بريطانيا هي العدو اللدود لفرنسا، ولأطماعها الاقتصادية التي لم تخفها يوما في سواحل الجزائر، فقد أراد أحمد باي استمالة العرش البريطاني، من أجل فتح منفذ دولي يتنفس منه، فقام المجلس الشوري للبايلك بإرسال رسالة لبرلمان بريطانيا، عن طريق قنصلها بتونس السير طوماس ريد، وذلك بتاريخ 17 جانفي سنة (1834م).وتضمنت العريضة شكوى من انتهاك الفرنسيين لحقوق الشعب الجزائري، والطلب من بريطانيا التدخل، وتقديم المساعدة لقسنطينة ولأحمد باي"[39]".

-**تحييد باي تونس من الصراع**: من الخطط التي أحكمتها فرنسا، من أجل النيل من أحمد باي، هي تأليب باي تونس عليه، فعقدت معه معاهدة، تسلمه على إثرها وهران وقسنطينة"[40]"، وتم فعلا إرسال قطعات حربية تونسية، دخلت وهران تحت الحماية الفرنسية"[41]"، وقام باي تونس بمراسلة الباب العالي، متهما أحمد باي بالظلم والجبروت، وعين سي مصطفى أخوه ليخلف أحمد باي على قسنطينة"[42]"، لكن أحمد باي استطاع بذكاء تحييد باي تونس، وذلك في التسريع من لقاء موفد الباب العالي إلى قسنطينة، ليطلع على حقيقة الوضع بنفسه، فقام بإرسال وفد إلى الآستانة على رأسه: سي علي بن عجوز، وبالفعل جاء الموفد وجال في بايلك الشرق، وبعدها أرسلت الخلافة العثمانية لباي تونس، تأمره بلزوم تونس وعدم التدخل في الشؤون الجزائرية، فسحبت تونس فرقتها العسكرية من وهران، واعتذرت لملك فرنسا أنها لا تستطيع أن تقوم برعاية وهران وقسنطينة"[43]".

-**الصراعات الداخلية**: لم يخل بايلك الشرق من الفتن والصراعات الداخلية، منذ أن فارق الباي دار السلطان، عائدا من هزيمة الجيوش الجزائرية أمام الحملة الفرنسية.

-وأول ما وقع من صراع هو ثورة الأتراك الموجودين داخل قسنطينة على أحمد باي، فبمجرد وصوله إلى مشارف قسنطينة حتى علم بالمؤامرة، والتي قادتها حامية الشتاء ويولداش قسنطينة، وجعلوا

36- المرجع السابق (ص47).
37- الغالي غربي وآخرون مرجع سابق (ص151).
38- أنظر تفصيل الكلام عن علاقة أحمد باي بكبرى العائلات: صالح فركوس مرجع سابق (ص48-53).
39- بوضرساية بوعزة مرجع سابق (ص93-94) وعبد العزيز فيلالي مرجع سابق (ص71-74) .
40- شارل هنري تشرشل، حياة الامير عبد القادر،ترجمة ابو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، (1974)(ص72).
41- حمدان بن عثمان خوجة مرجع سابق (ص231-234).
42- حمدان بن عثمان خوجة مرجع سابق (ص234-236).
43- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الحديث (ص136)وعبد العزيز فيلالي مرجع سابق (ص70).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سليمان هو الباي، وسرعان ما استرد الباي سلطانه على قسنطينة، إثر رفض أعيان ووجهاء قسنطينة لعمل الحامية التركية، وكان على رأسهم الشيخ ابن الفكون شيخ الاسلام، ودخل احمد باي قسنطينة، وبعد مدة قام بتجهيز جيش وأرسله للأتراك الذين عصوه، فتقابل معهم، ثم استسلموا على شرط أن يسامحهم، ويسلموا له مثيري الثورة، فسلموهم وأعدموا"[44]".

-ومن الصراعات الكبيرة أيضا ما وقع من الباي السابق لقسنطينة إبراهيم الكريتلي، فإنه وبعد الفتنة التي وقعت من ترك قسنطينة، أرسل اليه بعض أهل بايلك الشرق، وهو في المدية، يطلبون منه القدوم لينصبوه بايا"[45]"، وقدم عليهم وعسكر معهم قرب سطيف، فخرج اليه أحمد باي بعسكره والتقاه، وتراجعت بعض القبائل عن القتال مع إبراهيم الكريتلي، فانهزم وفر الى الصحراء، وجهز جيشا آخر، فنهض اليه الحاج أحمد باي مرة أخرى وهزمه، ففر إلى عنابة، وطلب منه أهل عنابة أن يكون حاكما عليهم، فرضي بذلك وقاوم الفرنسيين، حتى أجلاهم عن عنابة، ووصل الخبر الى أحمد باي فأرسل جيشا على الفور لعنابة، على رأسه ابن زفوطة، ثم عوض بالباش حامبة ابن عيسى لمرض الأول"[46]" وضرب الحصار على عنابة، وكان القتال بينهم، إلى ان جاء المدد الفرنسي، على رأسه يوسف المملوك لاستعادة عنابة من الباي إبراهيم، عندها رفع ابن عيسى الحصار، وعاد الى قسنطينة، لتيقنه انه لا يستطيع مجابهة القوات الفرنسية"[47]".

-ومن الصراعات التي دخلها أحمد باي في إقليمه مع القوى الداخلية، صراعه مع فرحات بن سعيد شيخ العرب، وهو من عائلة بوعكاز، تلك العائلة الكبيرة، التي نافست دهرا من الزمن عائلة بن قانة أخوال أحمد باي على المناصب"[48]"، وقد استماله بومزراق باي التيطري، وعينه شيخا للعرب مع إبراهيم الكريتلي، فتحالفا على قتال أحمد باي، لكنه هزمهم بالقرب من بسكرة، وفر بعدها ابن سعيد"[49]".وقد حاول فرحات ربط العلاقات مع القوات الفرنسية عدة مرات"[50]"،لكنهم جابهوه بالاحتقار والمهانة"[51]".

- الصراع مع الأمير عبد القادر: ومن أبرز الصراعات على الإطلاق، التي كان لها الأثر الكبير في مقاومة احمد باي، هو الصراع المرير مع الأمير عبد القادر الجزائري.

44- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص17-19) ومحمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص93-94) وأوجين فايست مرجع سابق (ص250-251) وحمدان بن عثمان خوجة مرجع سابق (ص189-190).

45- اما أحمد باي في مذكراته فيذكر أن باي التيطري بومزراق هو من ولاه بايا على قسنطينة بعدما تسمى هو بباشا الجزائر، أنظر: محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص25).

46- أوجين فايست مرجع سابق (ص256).

47- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (25ص-29) ومحمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص94-100) وأوجين فايست مرجع سابق (ص252).

48- صالح فركوس مرجع سابق (ص48).

49- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص26).

50- صالح فركوس مرجع سابق (ص75-76).

51- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص80-81).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإن اختلفت آراء المحللين للتاريخ في الحكم على العلاقة أو الصراع الذي دار بين الرجلين، إلا أننا إذا ما راعينا وطنية الرجلين، وجهادهما وبلاءهما الحسن في سبيل تحرير الجزائر، فيمكننا اعتبار الخلاف الذي وقع بينهما خلافا طبيعيا أملته، المنطلقات الفكرية والنظرة السياسية، والظروف العسكرية والمكر الفرنسي.

وقد تجلى الصراع بين الرجلين في ما يلي:

*محاولة الأمير عبد القادر بسط نفوذه في الشرق الجزائري، بإرسال خليفتين على الزيبان والصحراء، مما اضطر أحمد باي لملاقاتهم وقتالهم.

*كذلك صمت الأمير عبد القادر عن حصار القوات الفرنسية لقسنطينة، والهجومات العنيفة عليها خلال عام (1836م)، وقد أشار تشرشل إلى هذا حيث قال:" وقد امتنع عبد القادر من اتخاذ اي إجراء قد يفسد التطور الكامل لتلك الخطة، ومنى نفسه بأنه سيكون هو المستفيد في النهاية سواء نجح الفرنسيون في خطتهم أو فشلوا، ذلك أنه شعر أنه إذا انهزم أحمد باي فإنه سيتخلص من منافس خطير، دون ثمن أو تعب من جانبه، وأن القبائل العربية في إقليم قسنطينة ستكون حينئذ حرة في الدخول تحت لوائه." "52"

*وقد زاد شك أحمد باي في الأمير عبد القادر، رسالة هذا الأخير التي وجهها لأهل قسنطينة، يستميلهم فيها إليه"53".

*ثم كانت اللحظة الفارقة التي زادت بعد الهوة بين الرجلين، ألا وهي عقد معاهدة التافنة، بين الأمير عبد القادر و الماريشال بيجو في 20 ماي (1837م) "54".

لذلك يمكننا القول أن أحمد باي كان يفسر تصرفات الأمير عبد القادر على أنها معادية له، ومؤيدة للفرنسيين، ولذلك وصفه في إحدى فقرات مذكراته بأنه:"عبد القادر والي الفرنسيين""55"، وكذلك اعتقاد أحمد باي أنه هو الوريث الشرعي لسلطة الداي، التابع للخلافة العثمانية والسلطان محمود"56".

-**المناورات السياسية الفرنسية**:لم تهدأ المناورات السياسية لفرنسا مع أحمد باي في فترة من الفترات، فبالرغم من العداء المستحكم بين الطرفين، خلافا لما كانت عليه العلاقة مع غيره من البايات، والمعارك الطاحنة التي كانت بينهما، إلا أن المفاوضات والمراسلات والمناورات ظلت مستمرة إلى آخر يوم من أيام المقاومة.

52- شارل هنري تشرشل، المرجع السابق(ص108).
53- أبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث،(ص146).
54- المرجع نفسه(ص117-119).
55- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص78)
56- صالح فركوس مرجع سابق (ص64)وناصر الدين سعيدوني،عصر الامير عبد القادر الجزائري مؤسسة جائزة عبد العزيز بابطين للإبداع الشعري، (د ط)(2000م) (ص229)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكانت أول رسالة أرسلها ديبورمون لأحمد باي، هي في طريق عودته من دار السلطان، ومعارك سيدي فرج، وظمنها المطالبة بعودة أحمد باي، وتسليمه الدنوش وبقائه بايا على قسنطينة تحت السلطة الفرنسية، فكان الرفض من جهة أحمد باي هو الجواب"[57]".

ثم لما عين كلوزيل مكان ديبورمون، عاود مراسلة أحمد باي يطلب منه الإستسلام مقابل اعتراف فرنسا به حاكما على شرق الجزائر"[58]"، واجتمع الديوان الاستشاري، وقرر الرد بالرفض، وأنهم يستشيرون الباب العالي لأنهم تابعون للدولة العثمانية.

ثم كانت المحاولة الثالثة من طرف الحاكم الجديد ديروفيقو، والذي أرسل حمدان بن عثمان خوجة في وساطة للاستسلام، لقاء أن يحتفظ الباي بمنصبه، لكنه يصير تابعا لفرنسا، ومن الفور اجتمع المجلس الاستشاري (الديوان)، وتم الاتفاق على قبول دفع الضريبة السنوية الدنوش، بشرط ان تخلي فرنسا الأراضي التي احتلتها خاصة عنابة، وأبلغوه رفضهم التام دفع غرامة الحروب، والمقدرة بثلاثة ملايين بوجو، مع إمكانية تعيين قنصل فرنسي في عنابة ، وتعد كل هذه الاتفاقات سارية المفعول شريطة أن يوافق عليه السلطان العثماني محمود آغا"[59]".

ويعود بعد مدة قليلة حمدان خوجة برسالة أخرى، تغيرت فيها الشروط من طرف دي روفيقو، وكانت الإجابة مثل السابقة: الرفض التام"[60]".

ثم تكون المحاولة الرابعة عن طريق دامريمون، الحاكم الفرنسي الذي توسط باليهودي ابن باجو، لعقد اتفاق مع الباي أحمد، لكنه رفض أيضا الاتفاق معهم لشروطهم المجحفة"[61]"

ثم يعيد الكرة ولكن عن طرق يهودي آخر هو بوجناح، وكانت الشروط هذه المرة أيضا مجحفة، لم يقبل بها أحمد باي، ولا أعيان وعلماء قسنطينة، فردوا على دامريمون بالرفض، مع بيان نيتهم في

57- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص16-17)صالح فركوس مرجع سابق (ص60) وأبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص135) عبد العزيز فيلالي مرجع سابق (ص68)بوعزة بوضرساية مرجع سابق (ص127).

58- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص20) وأبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص136).

59- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص33-35) صالح فركوس مرجع سابق (ص60) و ابو القاسم سعد الله لسعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص139) عبد العزيز فيلالي مرجع سابق (ص71) بوعزة بوضرساية مرجع سابق (ص129).

60- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص35-37) وأبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص140)

61- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص67-68) وأبو القاسم سعد الله لسعد الله ومحاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص142-143) صالح فركوس مرجع سابق (ص66).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السلم، لكن بشروط معقولة، وغير مجحفة، وترضي الجميع، وأرسل رده مع كاتبه محمد ابن العنتري، لأنه لم يعد يثق في بوجناح اليهودي"[62]".

وبعد سقوط قسنطينة بيومين يقوم فاللي، الذي ناب دامريمون بعد مقتله في معركة السقوط، بالتفاوض مع أحمد باي، من أجل الاستسلام،ثم يرسل له رجلين هما: ابن العطار من قسنطينة، والحاج الباي من عنابة، بنفس الطلب لكن صهر الباي أحمد الحاج بوعزيز بن قانة رفض هذا الاتفاق، وتم رفض الطلب"[63]".

-الظروف العسكرية:

وأما عن الجانب العسكري، فالباي أحمد عمل ومنذ أول وهلة على تقويته في البايلك، لأغراض شتى، فقبل الاستعمار الفرنسي، كان الغرض من تقوية الجيش، هو السيطرة على البايلك، وإخضاع القبائل المناوئة له، أو تلك العصية على الإخضاع، وبعد الإستعمار الفرنسي، صار الشغل الشاغل للباي هو صد هجومات الفرنسيين وتقوية الدفاعات ويمكننا التعرف على الظروف العسكرية التي عاشتها مقاومة أحمد باي للغزو الفرنسي، إذا علمنا أن:

-**جيش بايلك الشرق وتعداده**: كان كل بايلك من بايلكات الإيالة الجزائرية، يستطيع جمع ما يقارب 45000 جندي، وفي قسنطينة كان توزيعهم كالتالي:

22000 من المشاة، و23000 من الفرسان"[64]"، ويتشكل هذا الجيش من أتراك وزمول ودائرة المخزن.

فأما الأتراك: فهم الذين تتشكل منهم النوبات و المعسكرات، ويمكن أن يكون معهم الكراغلة، ووظيفتهم المشي مع محلة الدنوش والغزو أيضا، وهي نوبات كثيرة منها: نوبة قسنطينة وعنابة وبسكرة وبجاية وتبسة وجيجل وبرج حمزة (أي بويرة).

وأما الزمول: فهم جنود من قبائل المخزن، وموضع عسكرهم عين مليلة.

أما جنود الدايرة: فهم رجال مقاتلون، ينتقون من القبائل، ولهم دوائر يتمركزون بها: دايرة الوادي بين عين الخشبة وجميلة، ودايرة السراوية جنوب ميلة، ودايرة وادي الزناتي ودايرة قسنطينة"[65]".

-**الاستنجاد بالقبائل والنفير للجهاد**: يقول أحمد باي في مذكراته:"لقد قمت منذ زمن طويل باستدعاء جميع الجيوش في مقاطعة قسنطينة، وقد هب جميع القادة لتلبية ندائي، وأذكر من جملة من حضر:

62- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص64-68) وأبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص143)و عبد العزيز فيلالي مرجع سابق (ص91-92).

63- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص78-79)) وصالح فركوس مرجع سابق (ص72).

64- وربما كان هذا في الحالة العادية وإلا فقد ذكر بوضرساية بوعزة أن أحمد باي لم يستطع جمع أكثر من 12000 خلال حملاته أنظر: بوعزة بوضرساية مرجع سابق (ص103).

65- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص25-26).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مسعود بن المبارك شيخ ريغة، رزقي شيخ الحناشة، الحاج رجب شيخ الحراكتة...لقد جمع هؤلاء فيما بينهم 5000 و2000 من المشاة، بقطع النظر عن العساكر المختصين في المدفعية """[66]"

وهذا ما يبين بجلاء، أن أحمد باي استطاع أن يستميل قبائل البايلك، والتي بدورها أعانته على تكوين جيش يستطيع المقاومة، وهو فعلا ما أثبتته الأيام، وما طول زمان المقاومة إلا خير دليل على ذلك.

-**بناء الثكنات ومراكز التدريب**: بعد فرض الاستقرار والأمن داخل البايلك"[67]"، انشغل أحمد باي ببناء الثكنات وتدريب قواته، نظرا للتطورات الكبيرة التي استجدت داخل البايلك، ورغبة منه في التصدي القوي لجيش فرنسي حديث عصري وقوي.

الفرع الثاني: الظروف الإقتصادية والإجتماعية

- الظروف الإقتصادية:

إن حاجة المقاومة وأي مقاومة في العالم لمصادر تمويل، لمن البديهي الذي يقره كل عارف بأساليب المقاومة والتصدي للعدو، ومقاومة أحمد باي كانت من ظمن هذه المقاومات، التي اعتمدت على مقدرات القطر الشرقي للجزائر، من أجل الوقوف في وجه الجيش الفرني الغاشم، خاصة وأحمد باي كان يدري جيدا، أكثر من غيره طول مدة الحرب، وهو الذي كان يعلم صعوبة حرب الاستنزاف على الجيش الفرنسي، حيث قال مشيرا على المجلس العسكري في سطاوالي:"وتذكروا شيئا فإن الفرنسيين يريدون غنهاء هذه الحرب بكل سرعة، وارجاع الجيش إلى أوربا، إنهم من بني الأصفر ذوي الوجوه الشاحبة الذين يصعب عليهم تحمل مناخ هذه البلاد، وعندما نمدد الحرب في الزمن فمعنى ذلك أننا سنحقق النصر لا محالة """[68]".

لذلك فقد استغل أحمد باي كل ما يمكن استغلاله من مقومات اقتصادية لبايلك الشرق، حتى يحقق هذه الغاية، وبايلك الشرق يعتبر من أغنى بايلكات الجزائر، وقد اكتسب هذه الميزة لتميز موقعه الجغرافي، فهو يطل على واجهة بحرية مليئة بالخيرات، واتساع رقعة السهول الخصبة فيه، وتمدده إلى غاية واحات الزاب، كل هذا جعل القيمة الاقتصادية للبايلك تكبر وتزداد، وقد نهج أحمد باي خطة اقتصادية في هذا كله تعتمد على:

-**الاعتماد على الضرائب**: وفي مجملها تتكون من الحكر على الأراضي، والعشور على الحبوب، وضرائب التبن، والغرامات النقدية على القبائل البعيدة ديارهم وغيرها.

66- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص69).
67- بوعزة بوضرساية مرجع سابق (ص102-104).
68- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص13).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-**عوائد ممتلكات البايلك**: فقد كانت أراضي البايلك، ومزارعه وأحواشه والأراضي المؤجرة للخماسة، والعزل، وأراضي الأوقاف، كلها تدخل للخزينة مالا معتبرا، استعان به أحمد باي لتأمين حاجيات المقاومة.

-**عوائد التولية والغرامات**: وكذلك الحجر، وضرائب أخرى غير عادية"[69]"

-**الانفاق من ماله الخاص**: لقد بلغ الحال بأحمد باي أن أخرج ماله الخاص، وأنفقه على الزمالة، وهذا ما لم يتعود عليه بايات ذاك الزمن، وإن دل على شيء فإنما يدل على وطنية هذا الرجل، وتفانيه في تحرير الجزائر.

-**الاستفادة من مقدرات البايلك**: تميز بايلك الشرق بتنوعه الجغرافي والمناخي، مما ساهم في ظهور منتجات مختلفة، ومتنوعة، خاصة في منطقة عنابة، وسهول النمامشة، التي كانت تنتج الأصواف والحبوب، وكانت تصل الطفرة إلى حد تصدر هذه المنتجات للخارج"[70]".

بل واعتبرت قسنطينة مخزنا استراتيجيا لجنوب أوربا، بما كانت توفره من منتجات"[71]".

- الظروف الاجتماعية:

لم تختلف الظروف الاجتماعية في بايلك الشرق زمن أحمد باي، عن باقي الإيالة الجزائرية، فما يقال في الإيالة الجزائرية، يمكن قوله هنا، وبإمكاننا إلقاء نظرة عامة، عن حالة المجتمع في البايلك كما يلي:

-**القوة القبلية:** كباقي المجتمع الجزائري، كان للقبيلة الدور الهام في ربط النسيج المجتمعي، و أي سياسي يريد لنفوذه أن يكبر، أو سلطته أن تدوم، كان يجب عليه معرفة القبائل كبيرة النفوذ والعريقة، ومن ثمَّ التواصل معها، لذلك كانت سيطرة أحمد باي على البايليك تنطلق من ربط العلاقة مع العوائل الكبيرة، وقد قام بتنظيم موظفي الدائرة، بشكل تكون كل القبائل تحت السيطرة، فكان قايد الدار يشرف على تسع قبائل، وآغا الدائرة يشرف على تسع وثلاثين قبيلة، ويشرف الباش كاتب على ثلاث وعشرين قبيلة، والباش مكاحلي على سبع قبائل وهكذا... "[72]"

-**الروابط الدينية القوية**:مهما كان العرق الذي ينتمي إليه سكان البايلك، أتراكا كانوا أو عربا أو بربرا، فإن الرابطة الدينية القوية التي كانت تربط بينهم وهي الإسلام، كانت أشد من أي مؤثرات خارجية،

69- بوعزة بوضرساية مرجع سابق (ص24).
70- أبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر (ص154).
71- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د س)،(د ط)،(ص84-85).
72- صالح عباد مرجع سابق (ص297).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يمكنها زعزعة الترابط بين مكونات البايلك، فقد جمعت بينهم الشريعة واللغة والعادات والتقاليد والمصير المشترك، وهو عامل قوي اعتمد عليه أحمد باي في نشاطه خلال المقاومة"[73]".

-**انتشار المجاعات والأمراض**: كان لاحتلال فرنسا لميناءات عنابة سنة(1832م)،وبجاية سنة (1833م)،وسكيكدة سنة (1838م)، الأثر البالغ في خفض مقدرات البايلك، ومنه انخفاض السلع الضرورية، وحصول الهجرات من المدن والقرى، والنزوح إلى أماكن أكثر أمنا، كل هذا ساهم في تفقير المجتمع، وانتشار المجاعات، وكذلك الأمراض، وعلى سبيل المثال فقد ذكر أحمد باي في مذكراته، احتياجه هو وزمالته للقمح فطلب من باي تونس السماح لهم بشراء ما يحتاجونه منها"[74]" وفي نفس المذكرات يروي لنا أحمد باي عموم الكوليرا لقسنطينة، وبقائها قرابة الأسبوعين كانت كفيلة بالإجهاز على المئات "[75]".

73- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص19).
74- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص84).
75- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص39-40).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

****** مراحل مقاومة أحمد باي**

الفرع الأول: مشاركة أحمد في الدفاع عن عاصمة سنة (1830م)

يقول أحمد باي:"في سنة (1830م) ذهبت إلى مدينة الجزائر لأداء الدنوش"[76]" أو الزيارة

الإجبارية التي يؤديها إلى الباشا جميع البايات مرة كل ثلاث سنوات كنت بايا لقسنطينة منذ أربعة أعوام، وكانت تلك هي المرة الثانية التي أقوم بهذا الواجب.

فلم أكن إذا مستعدا أي استعداد لمحاربة الفرنسيين، ومع ذلك كان الداي حسين قد أخبرني بمشاريعهم في رسالة ذكر لي فيها أنه يجب أن أهتم بعنابة فقط. ولم يكن قلقا لا على نفسه ولا على مدينته الرئيسية.

وهكذا جئت كالعادة أحمل "اللازمة" ومعي أربعمئة فارس أو أقل،وأذكر من جملة القادة الذين اصطحبوني: ولد مقران، ابن حملاوي آغا، شيخ النغاس، قائد الزمالة، الوردي قائد بن عاشور، وشيخ بوشناح.

وعندما حضرت بين يدي الباشا قال لي:"ليس لديكم أكثر من الوقت الكافي للخروج إلى الفرنسيين الذين سينزلون بسيدي فرج، إنني أعرف مكان النزول من الرسائل التي تصلني من بلادهم ومن كتاب طبع في فرنسا وأرسله لي جواسيسي من مالطة وجبل طارق" ثم أضاف بأن الرسائل ترد إليه باستمرار من فرنسا وأنه على علم بكل ما يجري هناك""[77]".

بهذه العبارات ابتدأ الباي أحمد بن محمد الشريف مذكراته، وهي تعطينا نظرة عامة عن علاقة الباي أحمد بالداي حسين، وعن حقيقة مشاركته في الحملة، فلم يكن مستعدا لتلك الحملة كل الاستعداد، ويكمل أحمد باي، فيصف لنا الإجتماع الأول الذي تم عقده فيقول:"غادرت مدينة الجزائر واتجهت إلى المكان الذي تجمع في الجيش، وعقدنا مجلسا لتحديد خطتنا في الدفاع عن البلاد، وشارك معي في هذا المجلس الآغا إبراهيم صهر الداين مصطفى باي التيطري وخوجة الخيل، وخليفة باي العرب""[78]"

ثم يواصل الباي أحمد سرد تفاصيل الإجتماع العسكري، الذي تم بين القادة المذكورين، وحاصله: أنه انتقد خطة بناء الحصون التي اقترحها إبراهيم آغا، لتكلفتها المادية الغالية، وحاجتها للوقت، واقترح عليهم تتريس المكان، وإشغال العدو ببعض المقاومة، ثم بعدها يفسح المجال للجيش الفرنسي ليقرر الوجهة، فإذا كانت المدينة، فيهاجمهم المقاومون من الخلف، ويقطعوا عليهم الإمدادات، وإن قرروا مهاجمة الجيش الجزائرين فيجرونهم لأرض تناسب الالتحام، مع الحرص على استغلال عامل الوقت، وتطويل زمن المعارك لإنهاك القوى.

76- ضريبة يدفعها الباي شخصيا كل ثلاث سنوات ويدفعها الخليفة في فصلي الربيع والخريف من كل سنة، انظر: أوجين فايست مرجع سابق (ص283).

77- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص11).

78- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص12).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه الخطة المحكمة لم تعجب الآغا إبراهيم"[79]" وهو المتعجرف "بحمية الجاهلية ومزهو في نجاح الخطة""[80]"

عندها استسلم الباي أحمد لرغبة المجلس، وشارك في معارك صد العدوان، وللأسف باءت كلها بالفشل، ونقل في مذكراته التفاصيل الدقيقة في سير المعارك، والتي انتهت للأسف بسقوط مدينة الجزائر، وتسليمها للعدو الفرنسي، ومن بعدها ينسحب هو ومن لحق به من فلول الناجين من أرض المعركة إلى قسنطينة"[81]"، وفي الطريق يتصل برسالة من الجنرال دي بورمون يقول فيها:"إن الفرنسيين قد خلفوا حسين باشا في الحكم، وإنني أحتف بمرتبة باي قسنطينة إذا رضيت أن أدفع لفرنسا"اللازمة" التي كنت أدفعها للداي، وباختصار إذا قبلت الاستسلام""[82]" فما كان جوابه إلا الرفض التام ودخل قسنطينة"[83]" بعد فتنة ليعد العدة ويبدأ المقاومة الفعلية.

الفرع الثاني: الحملات الفرنسية على قسنطينة من سنة(1832م)إلى سنة (1837م):

بمجرد ما استتب الوضع في مدينة الجزائر، واستطاعت القوات الفرنسية أن تفرض سيطرتها على كامل المدينة، مشتتة القوات التركية، والمتطوعين، وإعادتهم من حيث أتوا، بادرت هذه القوات بخطوات حثيثة قصد السيطرة على باقي تراب الإيالة الجزائرية، وبطبيعة الحال فالعمق الاستراتيجي لبايلك الشرق، والرقعة الشاسعة التي يتربع عليها، جعلته يحتل المرتبة الأولى في سلم الأولويات في لاستكمال الاحتلال.

ولذلك فقد باشرت قيادة الجيش الفرنسي (الجنرال كلوزيل)، بإرسال قطعات عسكرية بحرية لاحتلال الموانيء الهامة، الواقعة في الساحل الشرقي للجزائر- أي سواحل بايلك الشرق-.

وكانت عنابة هي أولى محطات الغزو الفرنسي لسواحل الشرق سنة (1830م)، واستغلت فرنسا الخلاف الذي نشب بين أهل مدينة عنابة، وأحمد باي، وأغرت ضعافهم ببعض المغريات، على رأسها التمويه بأنها لم تأت إلا مسالمة، وما جاءت إلا للحفاظ على أمن القصبة، وأنها لن تُنزل إلا قطعة صغيرة منها للحماية فقط، وفعلا في يوم (1830/12/29م) دخلت القوات الفرنسية قصبة عنابة"[84]".

79-أنظر وصفا دقيقا لهذا الآغا في: حمدان بن عثمان خوجة مرجع سابق (ص150-159).
80- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص14).
81-أنظر تفاصيل الرحلة إلى قسنطينة : حمدان بن عثمان خوجة مرجع سابق(ص188-189) وسولسي دو فيليسيان،ذكريات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبلية، منشورات ثالة، الأبيار الجزائر،(د ط)(2008).
82- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص17).
83-حمدان بن عثمان خوجة مرجع سابق (ص188-194).
84- عبد الرحمن الجيلالي مرجع سابق (4/240-241).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعد انتشار خبر الثورة في فرنسا، -وكذلك لتضررهم من ضربات الباي السابق لقسنطينة، إبراهيم القريتلي"[85]"، الذي دخل عنابة محتميا بها، بعدما فر من حربه مع أحمد باي، وعينه أهل عنابة واليا عليهم، وكان تحالف مع الفرنسيين ثم انقلب عليهم.-خرج الفرنسيون من عنابة"[86]" وتركوها لأهلها لتسييرها.

فبادر أحمد باي بإرسال حملة عليها لإخضاعها لحكمه، وضرب عليهم حصارا تحت قيادة عمار بن زفوطة"[87]"، ومن بعده الباش حانبه ابن عيسى"[88]"، الذي شدد الخناق على القصبة، لكن سرعان ما عادت القوات الفرنسية بقيادة الضابط (دارماندي)، فتراجع ابن عيسى عنها، وهرب منها إبراهيم الكريتلي"[89]" .

وفي(03/17/ 1832م) استطاعت القوات الفرنسية الدخول لقصبة عنابة واحتلالها"[90]"،وبذلك بدات أولى خطوات ضرب الحصار على أحمد باي وبايلك الشرق.

عينت فرنسا على عنابة يهوديا مرتدا اسمه: يوسف المملوك، -زعم أنه ابن غير شرعي لنابليون وصار جنرالا في الجيش الفرنسي- حاكما على عنابة"[91]".ومن بعدها باشرت في إرسال حملة أولى على عاصمة البايلك قسنطينة.

في نوفمبر سنة (1836م) بدأ يوسف المملوك المسير إلى قسنطينة، في جيش قوامه 8700 رجل"[92]"، ويذكر ابن العنتري أن هذه الحركة كانت بطلب من جماعة من أعيان قسنطينة"[93]" ، واعترضت قوة كبيرة من قبيلة الحراكتة طريقهم، عند موضع يقال له (راس العقبة)-بين وادي زناتي

85-هو إبراهيم باي القريتلي أوالكريتلي تركي قديم من اهل قسنطينة عين بايا على قسنطينة سنة(1822م) واستمر في ذلك إلى سنة (1824م)حيث عزل ونفي إلى المدية، أنظر: محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص88وص 94-96) ورياض بولحبال، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار جامعة منتوري قسنطينة، (2009-2010) (ص93-95)وتاريخ بايات قسنطينة لفايسيت (ص222-231).

86- أبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص138)و محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص26).

87- أنظر ما كتبه فيرو عن أسرة بن زقوطة والحاج عمار بن زقوطة في المجلة الإفريقية (6/17-7) document pour servir la revue africaine année (1960),office des publication universitaires ben aknoun alger (p177).

88- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص96-97).

89- مذكرات أحمد باي (ص27-28).

90-محمد جندلي، عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا في العصر الحديث، بونة للنشر والتوزيع، (د ط)(1429هـ-2008م)، (2/26-27)

91- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص41-45)، محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص100)وأبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص138).

92- بشير بلاح مرجع سابق (ص116).

93- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص103).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقالمة-، وكان على رأسهم القائد بن بوزيد رجم بن صالح، وانتهت المعركة بعد أيام باستشهاد 400 من الحراكتة أولهم القائد رجم بن بوزيد"[94]".

وقرر أحمد باي عدم المواجهة، واستدراج الفرنسيين إلى أسوار قسنطينة، فخرج في البداية إلى موضع وادي الكلاب -موضع يبعد عن قسنطينة مسيرة نصف يوم- وفيه التحم مع الفرنسيين في معركة غير متكافئة، إذ لم يكن معه إلا 1500 مقاتل و500 فارس"[95]"، فانسحب هو إلى مكان خارج الأسوار، وأرسل مددا إلى الحامية داخل المدينة، في حين ضربت القوات الفرنسية حصارها على قسنطينة، وأخذ أحمد باي يتربص بالفرنسيين، الذين حاولوا جاهدين اقتحام المدينة، مرة من باب القنطرة ففشلوا، ومرة من جهة باب جديد"[96]"، ثم حاولوا من جهة الرحبة، فانهزموا وكر عليهم أهل قسنطينة بقيادة أحمد باي، فأتعبوهم ولم يرد الباي تتبع فلولهم رغبة في عدم استثارة القوات الفرنسية، ورجاء إبرام هدنة بين الطرفين"[97]"، وقفلت القوات الفرنسية راجعة إلى عنابة"[98]"[99]".

مخلفة وراءها عربات المؤونة والبارود، وأحس الأهالي نشوة الإنتصار الكبير، وتم على إثر ذلك عزل (كلوزيل) من قيادة القوات الفرنسية، واستدعائه لفرنسا"[100]".

قرر بعد ذلك أحمد باي الاستعداد لهجوم قادم:"تدل جميع العلامات على أنه سيقع قريبا" كما جاء في مذكراته"[101]".فحصن أسوار المدينة، وأزال مباني من الكدية، كانت تشكل سندا لأي قوة معتدية، واشترى كميات من البارود من قبائل الجنوب.

وفي سنة (1837م)، وبعد عدة اتصالات بين القيادة الجديدة للقوات الفرنسية في الجزائر، متمثلة في القائد دامريمون، الذي خلف كلوزيل وبين الباي أحمد، من أجل عقد هدنة أو معاهدة استسلام، والتي باءت كلها بالفشل، قرر دامريمون توجيه حملة ثانية لقسنطينة، خاصة وأنه اطمأن على الجهة الغربية بإبرام معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر الحسني، فجمعوا 20400 جندي ومعهم مدفعية قوية قوامها 27 مدفعا، عليها الضابط فاللي، وفرقة هندسية كبيرة معهم 400 عربة"[102]".

94- عبد الرحمن قوجيل، عين البيضاء مدينة غارقة في أمواج النسيان، مخطوط،(ص58).
95- أبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص141) وذكر بشير بلاح أن قومة أحمد باي قدرت بـ: 7500 جندي، أنظر: بشير بلاح مرجع سابق (ص116).
96- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص50-51).
97- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص49-53) ومحمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص104) وأبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص141).
98- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (53ص).
99- أنظر ملحق رقم (3).
100- أبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (ص141)و بشير كاشة الفرحي مرجع سابق (ص42).
101- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص60).
102- عبد الرحمن الجيلالي مرجع سابق (365/4) وبشير بلاح مرجع سابق (ص117).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولما علم أحمد باي بقدوم الحملة، استعد لها وواجهها عند مكان اسمه مجاز عمار، بالقرب من قالمة"[103]"، وسرعان ما تراجع لقسنطينة يريد إعادة خطته للمرة الثانية، لكن قواته لم تسعفه فلم يكن يملك إلا 8000 جندي"[104]" .

فبمجرد الوصول الى قسنطينة، سمح للقوات الفرنسية بالتقدم ليحاصرهم من الخلف، وتكون بين نارين، لكن حامية قسنطينة لم تفعل شيئا، وتراجعت داخل الأسوار، وبدأ الفرنسيون في إمطار سور المدينة بالقذائف المدفعية، وكانت قوة أحمد باي من الخلف تناوش الحملة الفرنسية دون جدوى ودام الصراع ستة ايام طويلة التحمت فيه بعض الأمداد خاصة من جهة الشقفة فقد وصلت لاحمد باي نجدة قوامها: 10000 مقاتل ومن ميلة وغيرها"[105]"، وقتل في هذه الحملة بعض أكابر الضباط الفرنسيين، على رأسهم القائد العام (دامريمون) والجنرال (بريكو) والجنرال (دمبرينن) والعقيد (كومب)، واستمر الحال هكذا إلى أن استطاعت القوات الفرنسية ثلم بعض أجزاء السور، وتسلقته بعض الفرق، وفتحت مداخل المدينة، وأخذت الجيوش الفرنسية تتقاطر على المدينة، حينها علم ابن عيسى خليفة الباي أحمد أن المدينة سقطت فبدأ في إخلائها من أهلها"[106]".

ومن جهة جيش أحمد باي فقد خسر خسائر كبيرة جدا، ومن أكبر الشهداء الذين سقطوا محمد ابن البجاوي قائد الدار"[107]".

الفرع الثالث: المقاومة بعد سقوط قسنطينة ثم الاستسلام

"وفي الحين فكرت في محو الهزيمة، لأن الله لا يضيع كليا إلا الذين يهملون أنفسهم، لذلك استدعيت قادة القوم، فاجتمعوا حولي، وبعد أن استعرضت الموقف، اقترحت عليهم تشكيل زمالة بجميع الذين خرجوا من المدينة، ثم نقودها إلى مكان أمين في الجنوب، ونبقيها فيه تحت حماية مشاتنا""[108]"

بهذه العبارات افتتح أحمد باي فصلا جديدا، ومرحلة أخرى من مراحل المقاومة للاستعمار الفرنسي.

كان يريد تأمين الأهالي الفارين معه من أهوال الإستعمار الفرنسي، ومن ثم الحيلولة دون وصول المدد والمؤونة للقوات الغازية، التي تمركزت بقصبة المدينة، وذلك بقطع طريق الإمداد بين عنابة وقسنطينة.غير أن تدخل صهره بوعزيز بن قانة، والذي فرض عليه وعلى الجميع، التوجه نحو الزيبان لملاقاة فرحات بن سعيد، الذي استولى عليها من قبل، بحجة أنه هو الخطر الزاحف بخلاف فرنسا فهي

103- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص70).
104- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص69)وذكر بشير ملاح انها قاربت 5000 جندي فقط أنظر: بشير ملاح مرجع سابق (ص117).
105- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص71).
106- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص70-74) وعبد الرحمن الجيلالي مرجع سابق (4/366-367) وبشير بلاح مرجع سابق (ص117-118) وآرجمنت كوران مرجع سابق، (ص107).
107- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص75).
108- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص76).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القوة الراكدة الثابتة، ولم يجد أحمد باي بدا من الرضوخ لرأي بن قانة، وإن لم يقتنع به، لكنه لم يكن له قريب بعد أولاده غيره"[109]".

ولم تمض ثمانية أيام حتى التقى أحمد باي بفرحات بن سعيد، وهزمه هزيمة نكراء، وتوجه هذا الأخير على إثرها إلى وادي سوف فارا منكسرا.

وبعدها مكث الباي أحمد يجول في شرق الجزائر، فتنقل إلى قبيلة الحنانشة، ووقعت له عندهم فتن فر في آخرها صهره بوعزيز بن قانة إلى الصحراء، وبدأ في الاتصال بالفرنسيين. ووجد الباي أحمد نفسه منتقلا بعدهم إلى الحراكتة، أكبر قبائل عين البيضاء، ومكث عندهم شهرين، وبعد خروج حملة فرنسية من قسنطينة قصد قتاله تحول إلى وادي ريغة.

وفي سنة (1840م) خرجت حملة فرنسية قاصدة الحراكتة، فاستنجد هؤلاء بالباي أحمد فاستجاب لهم، واستطاع أن يسترجع قسما مما غنمه الفرنسيون، من ماشية وأسرى، وقد بلغ عدد الماشية المنهوبة 80000 رأس غنم"[110]".

ثم ينتقل مرة أخرى إلى قبيلة الحنانشة، ثم إلى جبل الأوراس، أين يخرج اليه طابور فرنسي لمقاتله، ثم يرجع عنه بعد علمه باتجاهه. ثم يتجه بعدها إلى الحضنة، مرورا ببسكرة أين قابل أحمد بالحاج خليفة الأمير عبد القادر على الصحراء، وتقاتل الفريقان، وخسر بلحاج المعركة، واحتمى بأسوار بسكرة، ومضى أحمد باي في طريقة ومكث في الحضنة مدة.

وتخرج حملة فرنسية من سطيف لقتاله، فيلتحم أحمد باي ومن معه، بشيخ ريغة ومن معه، ويقابلون القوات الفرنسية هناك.

ثم يرجع أحمد باي إلى الحضنة، ومنها إلى جبال أولاد سلطان بالأوراس، أين مكث عاما ونصف العام، تخللته حملة فرنسية أخرى خرجت في طلبه من سطيف، وكانت بينهم معركة في أولاد علي- بالقرب من باتنة-، ولم يحضر المعركة أحمد باي، وبعد هذه المعركة بثمانية أيام تخرج حملة أخرى فرنسية من سطيف، فيقاتلها أحمد باي وترجع عنه.

في هذه الأثناء يقوم الدوق (دومال) -وهو حاكم قسنطينة الجديد- بجمع قواته ومن التحق بهم من قوات الجزائريين، بحصار أحمد باي في جبل أولاد سلطان، وبعد معارك شرسة انهزم أحمد باي فيها، واستطاع وهو محمول على نعش كالميت أن يفر ببعض أمتعته، وأصحابه إلى قرية منعة الحصينة -بالقرب من آريس-، وأقام بها عاما"[111]".

109- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص76).
110- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص120-121).
111- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص123).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وخرجت في هذه الأثناء حملة فرنسية أخرى، متجهة نحو سكان وادي عبدي، فاستغاثوا بأحمد باي، فلحق بهم وشارك معهم في القتال، ولكنهم انهزموا فرجع هو إلى منعة"[112]".

وقصدت هذه الحملة بعد ذلك التوابة، أين يوجد أحمد بلحاج ،فيفر هذا الأخير إلى وادي سوف، ويتحرك أحمد باي إلى جبل أحمر خدو.

وعاثت القوات الفرنسية فسادا في بلاد الأوراس، حينها تيقن الحاج أحمد باي أن لا مناص من الإستسلام"[113]".

ولنترك الحاج أحمد باي يروي لنا قصة استسلامه فيقول:"وهكذا أرسلت إلى حاكم باتنة من كان يحظى بكامل ثقتي، وطلبت منه أن يبعث لي رجلا يمكن أن أتفاوض معه بصفة نهائية....ثم أفهمته بأنه ينبغي المحافظة على السرية الكاملة، وأن ترسل جيوش تحاصرني من كل جهة حتى لا تبقى فكرة المقاومة عند العرب،....وقد ارتحت كل الارتياح عندما رأيت أن اقتراحاتي قد قبلت. وفي سرية مطلقة أمرت بالاستعداد للرحيل فاستعدت أسرتي وتوجهت شخصيا إلى مكان عين لي مسبقا وكنت أعلم انني ألتقي فيه بقائد باتنة الذي جاء على رأس جيش عرمرم ""[114]"وكان هذا يوم(1848/6/5م).

حمل بعدها إلى بسكرة، ثم قسنطينة، ثم سكيكدة، فميناء الجزائر، لينتظر وعود فرنسا فقال رحمه الله: "وإني الآن أنتظر انجاز الوعود التي أعطيت لي وكلي ثقة في الله وخضوع لإرادته""[115]"

لكنها الوعدود التي لم يرها الباي أبدا"[116]"، حتى وافاه الأجل عام(1850م) بالجزائر ودفن بضريح عبد الرحمن الثعالبي.

112- محمد العيد مطمر، الغزو والاحتلال الفرنسي للأوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة (1844-1884)، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد(10)، (ص6).
113- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص77-97).
114- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص99).
115- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص102).
116- أنظر: أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (1/352-353).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

******* نتائج مقاومة أحمد باي:**

الفرع الأول: النتائج السياسية والعسكرية:

- النتائج السياسية:

إن انتهاء مقاومة أحمد باي للاحتلال الفرنسي خلفت آثارا سياسية ظاهرة، أثرت على المشهد السياسي في الجزائر لعقود متتالية ومن أبرز هذه الآثار أو النتائج:

-**اختفاء ما يسمى ببايلك قسنطينة**: بمجرد إبرام أحمد باي معاهدة الاستسلام مع المستعمر الفرنسي في5 جوان سنة (1848م) "[117]"، فقد اعتبر بايلك قسنطينة رسميا تابعا لفرنسا، وانتهت سلطة الباي عليه"[118]".

وأقامت السلطة الفرنسية حمودة ابن الشيخ الفقون حاكما مؤقتا على قسنطينة، لغاية استتباب الأمن فيها"[119]"، ونصبوا المكتب العربي"[120]" برئاسة بواسونيي"[121]" وفي سنة (1843م)عين الدوق (دومال)كقائد لمقاطعة قسنطينة"[122]".

-**فتح طريق الصحراء**: كانت الصحراء قبل المقاومة وأثناءها ملاذا لكل مقاوم، فقد التجأ إليها أحد باي عدة مرات، وكذلك فعل بلحاج خليفة الأمير عبد القادر"[123]". وقد استعصت على فرنسا لوقوف قسنطينة وأحمد باي حجر عثرة أمامهم، لكن بسقوط قسنطينة، وانتهاء مقاومة أحمد باي فقد صارت الصحراء مفتوحة أمام سيطرة فرنسا.

-**سقوط إقليم الأوراس**: فبعدما كان ملاذا لأحمد باي، واحتضن آخر أيام مقاومته، وكذلك احتضن بلحاج خليفة الأمير عبد القادر، وتكسرت على سفوحه أعتى الفيالق الفرنسية، فإن انتهاء مقاومة أحمد باي جاءت لتعلن بداية سقوط الأوراس الأشم تحت قبضة الإحتلال الفرنسي"[124]".

117- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص171)بوضرساية بوعزة مرجع سابق(ص341).
118- بوضرساية بوعزة مرجع سابق (ص208).
119- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص114-115).
120- une lettre du général yusuf sur la colonisation arabe ,la revue africaine année (1960),(p177)
121- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص119).
122- صالح فركوس مرجع سابق (ص86).
123- محمد العربي الزبيري مرجع سابق (ص80) ومحمد العيد مطمر مرجع سابق(ص81).
124- أنظر مقال محمد العيد مطمر مرجع سابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- النتائج العسكرية:

وكما كان لانتهاء المقاومة نتائج سياسية، فقد كان لها نتائج عسكرية أيضا، على إقليم قسنطينة من جهة وكامل الشرق الجزائري من جهة اخرى، نجملها فيما يلي:

-**تحطم جيش بايلك الشرق**: لقد أدت المعارك الكثيرة التي خاضها أحمد باي في الشرق الجزائري، سواء في قسنطينة أو عنابة وسكيكدة وبسكرة، ووادي ريغة وعين البيضاء وباتنة وجبال الأوراس وغيرها من المواقع، الأثر البالغ في انكفاء القدرة القتالية لقبائل الشرق وهي التي كانت تزود الباي بالجنود.

-**قيام مقاومات أخرى**: لأن مقاومة أحمد باي ضربت المثال في المواصلة، والمحاولة، والمرابطة وعدم اليأس، فقد أشعلت جذوة القتال والمقاومة في نفوس باقي الجزائريين، فاسترمت كثير من المقاومات، ونذكر منها مقاومة الزعاطشة"[125]"، ومقاومة الأوراس"[126]".

الفرع الثاني: النتائج الإقتصادية والإجتماعية:

- النتائج الإقتصادية:

لقد أحكمت فرنسا الغازية بانتهاء مقاومة أحمد باي السيطرة على مقدرات الشرق الجزائري، فكانت:

-**السيطرة على التجارة البحرية**: حيث صارت كل الموانى الشرقية تابعة لها "[127]"، وبذلك كانت طرق التجارة البحرية بيدها، وصارت كل المعاملات التي تعود على إجرائها الجزائريون، وكل الصفقات التي كانت تبرم عبر البحار، تمر تحت سيطرة الضباط الفرنسيين.

-**السيطرة على التجارية البرية:** وما لبثت أن سيطرت السلطة الفرنسية على طرق التجارة البرية، وبسطت نفوذها على كامل الشرق الجزائري، فصارت القوافل التجارية تمر على حامياتها العسكرية، وصارت خيرات البلاد، من قمح وصوف وألبان وفواكهن كلها تدار في الأسواق تحت رقابة القوات الإستعمارية.

-**فرض النظام الضريبي الفرنسي**: وتحت طائلة الضرائب الفرنسية، كانت كل السلع والمنتجات الجزائرية خاضعة لرقابة شديدة، لأن فرنسا تعي جيدا القيمة الاقتصادية لمنتجات بايلك الشرق.

125- صالح فركوس مرجع سابق (ص92).
126- محمد العيد مطمرمرجع سابق(ص86-87).
127- صالح فركوس مرجع سابق (ص72).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-**الأملاك الوقفية**: لم تغفل فرنسا أبدا الأملاك الوقفية، والتي كان لها الدور البارز في اقتصاد إيالة الجزائر عموما، وبايلك الشرق خصوصا، فقامت بوضع يدها على أغلب وأهم وأكبر الأملاك الوقفية، مستعملة إياها في مصالحها الخاصة.

-**الغنائم القبلية**: هذه القبائل الغنية التي كانت تمتلك عشرات الألاف من المواشي والإبل والأبقار، وكانت لها تجارات مزدهرة سواء مع السلطة التركية التي كانت تحكم، أو الجيران التونسيين، أو حتى فرنسا وإيطاليا وأوربا، عبر الموانئ البحرية، هذه القوة المالية، أسالت لعاب فرنسا فقامت بنهب أغلب القبائل التي أيدت أحمد باي، أو شاركت معه في المقاومة"[128]"، ومن أصدق الأمثلة على ذلك ما فعلوه مع قبيلة الحراكتة، حيث غنموا منها لوحدها ثمانين ألف رأس غنم"[129]" في حملة واحدة.

- النتائج الإجتماعية:

لم يعد المجتمع الجزائري في الشرق هو نفسه ذاك الذي كان عليه قبل المقاومة، أو أثناءها،أو بعدها، وقد برزت مظاهر جديدة فيه منها:

-**تغير التوزيع الديمغرافي**: لا غرو أن المعارك الطاحنة التي خلفت آلاف القتلى والجرحى، قد أحدثت تغيرا ديمغرافيا جذريا، على الخارطة السكانية في الإقليم الشرقي بالجزائر، فضحايا المعارك، أو المجاعاتن أو الأمراض، كانوا بأعداد هائلة، مما أدى إلى نقص التعداد السكاني لإقليم الشرق، وعلى سبيل المثال: فقد ذكر حمدان خوجة، أن أحمد باي لما خرج من الجزائر متجها إلى قسنطينة أخذ معه 3000 آلاف تركي، وعدد كبير جدا من العائلات الفارة من الجزائر"[130]"، وهذا يبين لك كيف كان التوزيع الديمغرافي يتغير، بعامل الحروب والمعارك، وسير مراحل المقاومة.

-**موجة الهجرات**: كانت القبائل المساندة لأحمد باي في مقاومته ترتحل من منطقة إلى أخرى، خاصة بعد الهزائم في المعارك، وخشية انتقام القوات الفرنسية منها"[131]" هذا ما أظهر لونا جديدا من ألوان الرحلات، وهو الهجرات الداخلية. وهناك لون آخر من الهجرات، وهو هجرات النخبة: كالعلماء والأثرياء الذين لم يجدوا بدا من الفرار بأرواحهم، من بطش السلطة الإستبدادية الفرنسية.

128- عبد العزيز فيلالي مرجع سابق (ص108).
129- محمد الصالح ابن العنتري مرجع سابق (ص120-121) وصالح فركوس مرجع سابق (ص86).
130- حمدان بن عثمان خوجة مرجع سابق (ص188-189).
131- عبد العزيز فيلالي مرجع سابق (ص107).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خاتمة:

وبعد هذه الرحلة الشيقة مع أحمد باي ومقاومة أهل بايلك قسنطينة، بداية من مشاركتهم في الدفاع عن الجزائر عند شواطيء سيدي فرج إلى غاية استسلام أحمد باي، فإنه لا يمكننا المرو على هذه المقاومة وحوادثها دون الوقوف على فوائد التي يمكننا استخلاصها منها.

وكأي حدث فارق، مهم وكبير كمقاومة أحمد باي سيكون له نتائج حتما كبيرة، فارقة وفاصلة ومؤثرة ويمكننا أن نذكر طرفا من الفوائد التي وقفت عليها وهي:

1- وكما اعتبرت مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري من أضخم المقاومات التي عرفتها الجزائر، فمقاومة أحمد باي لا تقل عنها ضخامة ولا تفترق عنها عظما.
وإذا ما لاحظنا أن مقاومة الأمير عبد القادر قد حازت اهتمام كثير من الباحثين، فإن مقاومة أحمد باي تستحق حتى هي اهتماما أكبرمما لاقته وتلاقيه.
2- إن أحمد باي كغيره من أهل الجزائر، تميز بوطنية فائقة النظير، ودليل هذه الوطنية هي الفترة الطويلة التي قضاها في مقاومة الإستعمار الفرنسي،دون كلل ولا ملل، وبذله كل ما يملك لإنجاح مقاومته. إن وطنية أحمد باي أملت عليه البحث في كل الإتجاهات من أجل إيجاد المخرج لإنقاذ ما تبقى من إيالة الجزائر، عله يحميها من الوقوع تحت سيطرة الإستعمار الفرنسي، فقام بربط العلاقات مع القبائل وسعى قدر المستطاع لتوحيدها، واتصل بالدولة العثمانية لإمداد الثوار بالعتاد، بل روبط العلاقة حتى مع بريطانيا لقاء دعمها له وللشعب الجزائري ضد المحتل الفرنسي.
3- من أكبر الأسباب التي أدت إلى فشل مقاومة أحمد باي، هو الخلاف الداخلي وعلى عدة مستويات، فمن الخلافات التي سادت معسكره بين عائلة بوعكاز وعائلة بن قانة، إلى الجند الإنكشاريين الذين كان همهم الحفاظ على مستويات معيشتهم وترفهم، إلى جنوح بعض القبائل إلى العصيان والسلبية، إلى سوء التفاهم بين قطبي المقاومة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي: أحمد باي في الشرق والأمير عبد القادر في الغرب، كل ١٥ه الخلافات والصراعات أدت إلى فشل المقاومة، وتعطل المشروع التحرري إلى سنوات طويلة لاحقة.
4- علمتنا مقاومة أحمد باي أن المحتل الفرنسي لم يهنأ للحظة واحدة، على أرض الجزائر، وأنه ذاق الأمرين من أجل تحقيق مقولة: "الجزائر فرنسية" فقد بينت مقاومة أحمد باي والمقاومات الأخرى وصولا إلى الثورة التحريرة الكبرى أن الجزائر جزائرية وستبقى جزائرية بجذورها البربرية وامتداداها العربية وارتباطاتها الإسلامية.
5- مقاومة أحمد باي من المقاومات المظلومة، في الجانب الدراسي الأكاديمي، ومن أكبر الأدلة على ذلك، هو شح المصادر التي أفردت لهذه المقاومة، إلا النزر القليل من الدراسات، مع أنها تحتل فترة هامة من تاريخ الجزائر، وأرشيفات فرنسا وبريطانيا وتركيا تعج بالحديث عنها وعن شخصياتها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا ما أمكنني التوصل له من نتائج والبحث لا يزال يحتاج من توسع وتدقيق لتجلية الكثير من المعاني التي لا تزال حبيسة الصفحات والكتب والأرشيفات العالمية.

والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب:

عمار بن محمد بوزير

Mou3tamidainbeida@gmail.com

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملاحق:

الملحق رقم (2)
قسنطينة من جهاتها الأربع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الملحق رقم (3)
قصر أحمد باي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملحق رقم (3)

خريطة تبين مواقع الهجوم في الحملة الفرنسية على قسنطينة سنة 1836م

القطعة رقم (07):

اسم التحفة :	فلس
الشكل :	دائري
المعدن :	نحاس
الوزن/غ :	0.6غ
القطر/مم :	11مم
مكان الحفظ :	متحف سيرتا
تاريخ الضرب :	1247هـ
مكان الضرب :	قسنطينة
مثل سابقه	

القطعة رقم (08):

اسم التحفة :	فلس
الشكل :	دائري
المعدن :	نحاس
الوزن/غ :	1.1غ
القطر/مم :	13مم
مكان الحفظ :	متحف سيرتا
تاريخ الضرب :	1247هـ
مكان الضرب :	قسنطينة

القطعة رقم (09):

اسم التحفة :	فلس
الشكل :	دائري
المعدن :	نحاس
الوزن/غ :	1.4غ
القطر/مم :	15مم
مكان الحفظ :	متحف سيرتا
تاريخ الضرب :	القرن 13هـ
مكان الضرب :	قسنطينة
الوجه :	سلطان محمود
الظهر:	ضرب في قسنطينة

ملحق رقم ()

نماذج من سكة احمد باي سنة (1826م)

القطعة رقم (01):

اسم التحفة :	ريال دراهم (سدس بوجو)
الشكل :	دائري
المعدن :	فضة
الوزن/غ :	1.3غ
القطر/مم :	15مم
مكان الحفظ :	متحف سيرتا
تاريخ الضرب :	1247هـ
مكان الضرب :	قسنطينة
الوجه :	طمست مضامينه
	قسنطينة1247

القطعة رقم (02):

اسم التحفة :	خروبة
الشكل :	دائري
المعدن :	خليط بين الفضة و النحاس
المعدن :	1.20غ
القطر/مم :	18مم
مكان الحفظ :	متحف سيرتا
تاريخ الضرب :	/
مكان الضرب :	قسنطينة
الوجه:	طغراء السلطان محمود
الظهر:	ضرب في قسنطينة

القطعة رقم (03):

اسم التحفة :	فلس
الشكل :	دائري
المعدن :	نحاس
الوزن/غ :	1.1غ
القطر/مم :	16مم
مكان الحفظ :	متحف سيرتا
تاريخ الضرب :	1247هـ
مكان الضرب :	قسنطينة
الوجه:	سلطان محمود
الظهر:	ضرب في قسنطينة 1247هـ

رزقي فهيمة دراسة نقدية لسكة أحمد باي (1241هـ/1826م) من خلال متحف سيرتا قسنطينة، مجلة بلكروم متحف قسنطينة العدد 01، سنة (2012-2013) ص17.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملحق رقم (4)
حدود بايلك الشرق

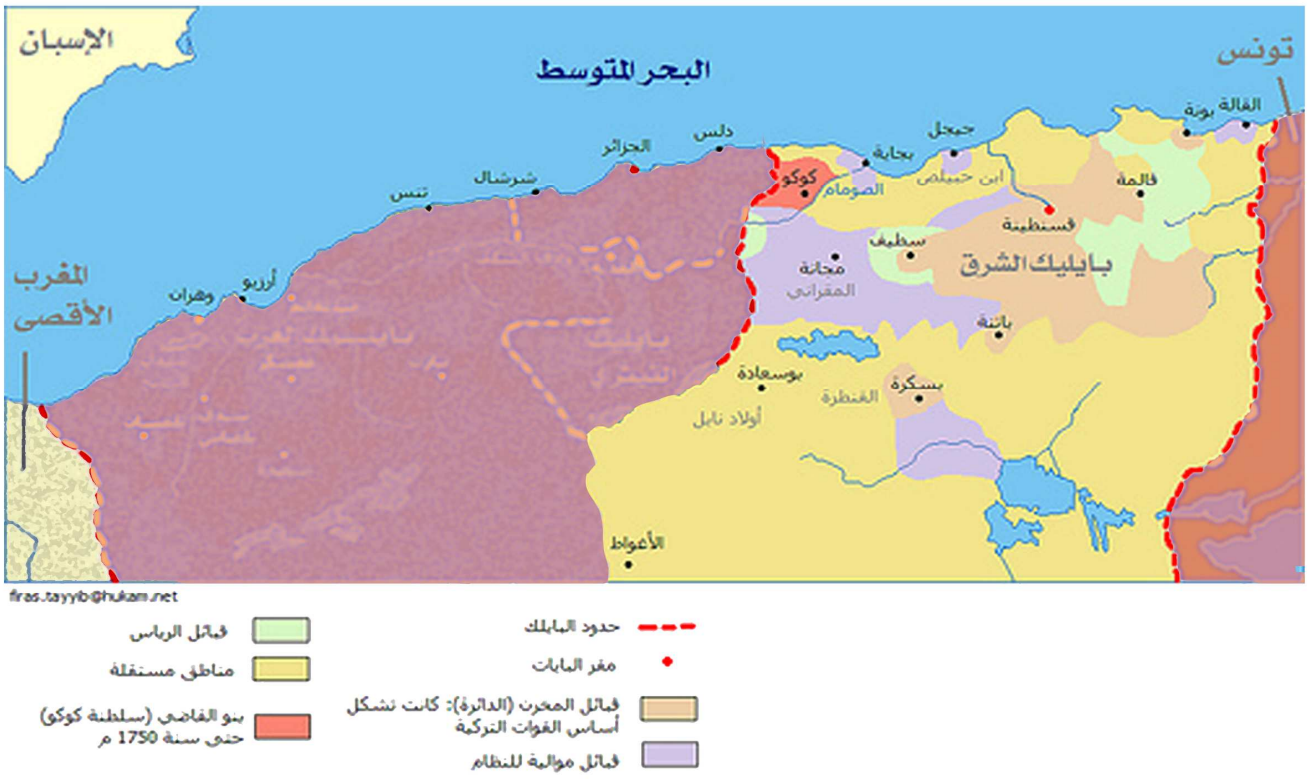

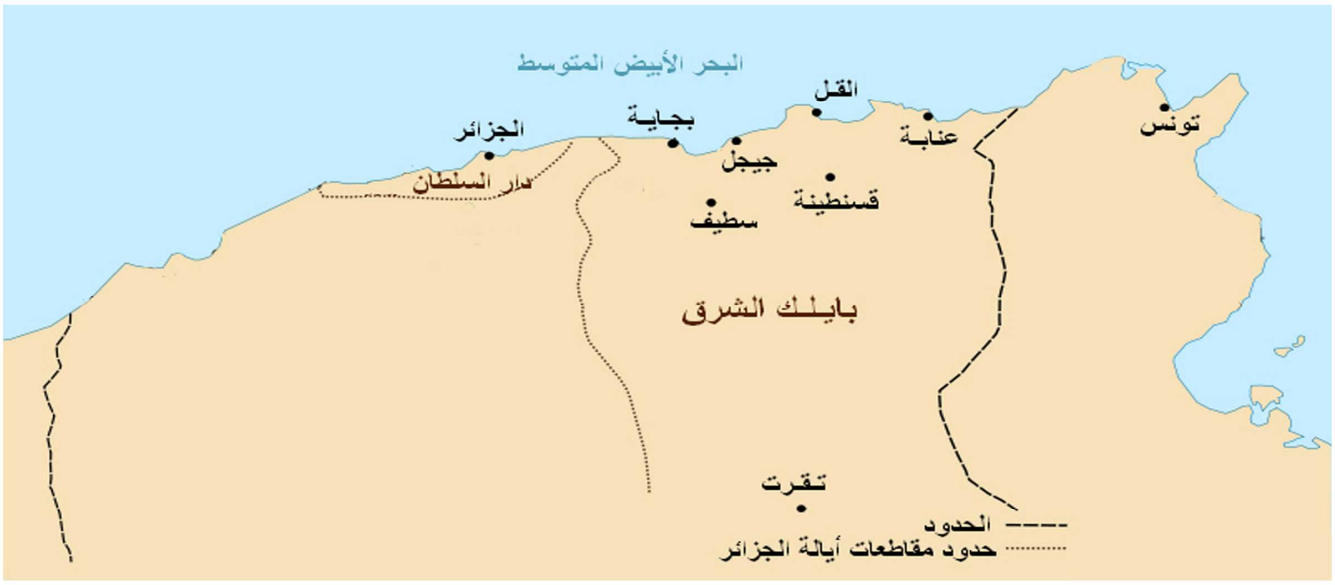

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملحق رقم(5)
علم بايلك الشرق ووصفه

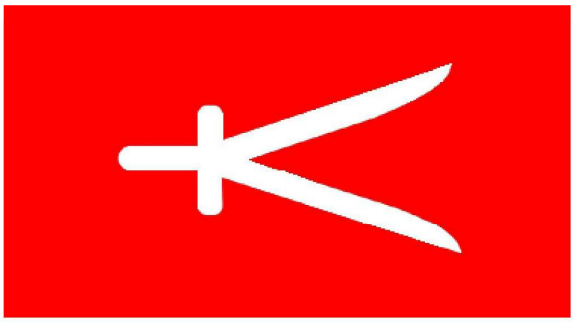

LE DRAPEAU CONSTANTINOIS A L'ÉPOQUE DE HADJ AHMED, DERNIER BEY DE CONSTANTINE

par Abdeljelil TEMIMI

Après la prise de Constantine en octobre 1837, l'armée expéditionnaire française occupa la Casbah et les points principaux de la ville ; le sergent-major Doze, de la Légion étrangère (1), enleva, pour le remplacer par les trois couleurs, le drapeau constantinois orné d'un sabre bifide sur fond rouge (2).

Quelle pouvait-être la signification de cet emblème ? Pour élucider cette question, il est indispensable de préciser certains points de l'apparition du sabre et de la couleur rouge dans l'Islam, dans l'Empire ottoman et plus particulièrement dans les pays maghrébins.

Hilal-Es-Sabi (3) rapporte que, parmi les neufs sabres du prophète Mohamed, le plus connu est celui qui passa aux mains d'Ali, quatrième Calife de l'Islam et gendre de Mohamed, et que l'on nomme Dul-Fikar (ذو الفقار) surnom honorifique attribué à Ali (5).

Le sabre d'Ali est bifide, pourquoi ?

Certaine légende veut qu'il lui ait été donné en considération de ses hauts faits guerriers pour la cause de l'Islam et que ce soit lui qui, en dégainant, ait provoqué

---

(1) Durieux J, *Drapeaux conquis en Algérie de 1830 à 1847*, p. 98, in *Mémoires sur l'histoire de l'Algérie au XIX^e siècle*, Paris, 1931.

(2) Esquer Gabriel, *Iconographie historique de l'Algérie depuis le XVI^e siècle jusqu'à 1870*, planche n° CC XVII, Paris, 1929.

Nous ne connaissons pratiquement aucune étude sur les emblèmes de l'Algérie, à part la publication, sans commentaire, des sceaux des Pashas d'Alger de 1515 à 1745, par Delphin, G, *Histoire des Pashas d'Alger de 1515 à 1745*, extrait d'une chronique indigène, traduit et annoté, in, *Journal Asiatique*, janvier – mars, 15 p, Paris, 1925.

(3) Hilal Es-Sabi qui se convertit à l'Islam, fut l'un des grands écrivains arabes du 2^e siècle, voir, SAMI, Şemseddin, *Kamus-ul-Alam* (dictionnaire universel d'histoire et de géographie) t. VI, p. 4743, en turc, Istanbul, 1893.

(4) Hugon Henri, *Les emblèmes des Beys de Tunis, étude sur les signes de l'autonomie Husseinite*, p. 62, Paris, 1913.

(5) James René, *couleurs, symboles et drapeaux du monde Arabe*, p. 32, étude dactylographiée en 1955, in Archives Nationales d'Outre-Mer à Aix-en-Provence, 8 x 244.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الملحق رقم(7)

الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة

1786م-1850م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة